إسهامات اللغة العربية في تطوير اللغة الملايوية في ماليزيا بين الأمس واليوم

(الدكتور محمد زكي عبد الرحمن)

هذه المقالة تناقش في موضوع "دور اللغة العربية في رفع شأن اللغة الملايوية" – اللغة الرسمية في ماليزيا – باعتبارها إحدى اللغات الحية فى العالم حتى يومنا هذا. ومن إسهامات اللغة العربية البارزة في عالم الملايو (الذي يعرف أيضا بأرخبيل الملايو) أنها قد أمدت اللغة الملايوية بأصوات لم تكن موجودة في اللغة الملايوية الأصل، وعددها أربعة عشر صوتا كما ذكرها عالم اللغة الماليزي زين العابدين بن أحمد المعروف اختصارا بـ زَعْبَا. وهذه الأصوات قد دخلت في اللغة الملايوية عن طريق الألفاظ العربية التى وصلت إليها من خلال التيارات الثقافية الإسلامية، والمصاهرات الأدبية، والاستعارات اللغوية المتبادلة التي جرت بين العربية ولغات الأمم و الشعوب الأخرى في منطقة جنوب شرقي آسيا، بعد وصول الإسلام إليها.

وقد بقي استخدام هذه الأصوات العربية في الحياة اليومية –باعتبارها كجزء لاينفك من الملايوية– حتى العصر الحاضر، ولكن مع مرور الزمن طرأ عليها بعض التغيير والتعديل، سواء من حيث النطق أو الكتابة. ومع بقاء الكتابة في اللغة الملايوية بنوعيها: الكتابة بالحروف العربية (المعروفة بالجاوية) والكتابة بالحروف اللاتينية (المعروفة بالرومية)، قد لوحظ التنوع في نطق بعض هذه الأصوات نسبيا. ونجد الآن أصنافا من الكتابات الجاوية واللاتينية للأصوات العربية. حتي بدأ يشعر الجيل الحالي بأن التكيف بتلك الكتابات التي تستعمل في المدارس، ووسائل الإعلام لأمر صعب للغاية.

أ – اتصال اللغة الملايوية بالعربية وأصواتها

كان ولا يزال لانتشار الدين الإسلامي في ماليزيا، واعتزاز الناس به أثر كبير في انتقال مفردات اللغة العربية ومصطلحاتها وحروفها (وبالتعبير الحديث أصواتها) وأساليبها إلى اللغة الملايوية. ولاريب أن للإسلام فضل كبير في رفع شأن اللغة الملايوية من طورها البدائي، ونطاقها الضيق إلى النطاق الأسع، حتي أصبحت لغة غنية، اكتملت خصائصها الفنية، التى عرفت بها لدى شعوب منطقة جنوب شرقي آسيا كلها، وذلك بفضل اصطحاب الإسلام هذه اللغة في مسيرة نشر تعاليمه في أرجاء دول المنطقة.

وقد أشار سيد محمد نجيب العطاس إلى هذا الأمر حينما ذكر أن أهم الأحداث المتعلقة بالثقافة التي جرت على أثر تطور الثقافة الإسلامية مباشرة هي توسيع استعمال اللغة الملايوية حتى شملت النواحي الفلسفية أيضاً، وإن استعمالها كلغة للأدب الفلسفي الإسلامي في أرخبيل الملايو قد أدى إلى تحسين وتزويد مفردات هذه اللغة ومصطلحاتها الخاصة (Al-Attas : 21)

وكان من الطبيعي أن يتخذ المسلمون – في بلاد الملايو– اللغة الملايوية كأداة لنشر أدبهم الإسلامي، وقد أدى هذا إلى تطوير هذه اللغة حتى صارت واسعة الانتشار في أنحاء الأرخبيل.

ويعود سيد محمد نجيب العطاس فيقرر أن القرآن هو الذي علم الأمة الإسلامية الاعتماد على لغة الكتابة، وأن الشعوب الإسلامية جميعها قد رحبت بتشريف اللغة العربية، واستعارت الحروف العربية أداة لكتابة لغاتها (Al-Attas : 31).

وهذا ما حدث في ماليزيا، حيث إن الملايويين قد اتخذوا الحروف العربية -باعتبارها وسيلة وحيدة - لكتابة لغتهم بدلا من الحروف الهندية القديمة في فترة ما قبل الاستعمار الإنجليزي، وذلك لوفرة الحروف العربية وسهولتها واتساع استعمالها.

وقد حدث تغير فكري سريع عند الشعب الملايوي بفضل دخول المصطلحات الإسلامية إلى اللغة الملايوية، وقد استمرت اللغة الملايوية في الانتشار، والتقدم مصاحبة لانتشار الدين الإسلامي بين شعوب المنطقة بأسرها.

لم تكن اللغة الملايوية القديمة مكتوبة في متناول أهلها، فلما جاء الإسلام على يد التجار الذين كانوا هم أنفسهم دعاة له، واصطحب بعضهم دعاة من المتصوفة والمرشدين، لم يكن ليكفيهم أن يعلن الفرد إسلامه بل كان لابد له من تعلم الصلاة والأدعية والأذكار الصوفية وتلاوة القرآن، ولم يكن عملياً أن يتعلم هذه الأشياء عن طريق اللغة العربية، بل كان الأيسر أن يتعلم هؤلاء الدعاة اللغة المحلية، ثم يعلموا مريديهم مبادئ الدين عن طريق لغتهم، وقد اكتسبوا اللغة فيما يبدو عن طريق الاختلاط والتفاهم مع الشعب الملايوي ثم حاولوا أن يكتبوا هذه اللغة بالرموز العربية (محمد عبد الرءوف : ١٠٤).

وقد اتسع نطاق استعمال الكتابة بقيام السلطات الإسلامية في تنفيذ كتاباتها، ومراسلاتها بالحروف العربية وتشجيع السلاطين المسلمين شعوبهم على القراءة وعلماءهم على تأليف الكتب باللغة الملايوية لتوجيه المسلين وإرشادهم أوترجمة ما ينفعهم من الكتب الإسلامية.

فأثر الإسلام من الناحية اللغوية، قد ظهر من جهة اختلاط العرب بغيرهم من شعوب البلاد، فاستقر العرب فيها حتى تمكنوا من تكوين جاليات عربية، و منهم من أقام القرى والمدن بمختلف الجهات التي تعد بمثابة مراكز لنشر الدعوة

الإسلامية، بل إن بعضهم أسس المدارس العربية والدينية التي تحولت إلى مراكز لتنشئة الجيل الإسلامي والأمة المسلمة فيما بعد. وقد ظهر أثر الإسلام في اللغة أيضا من جهة تلك الجهود التي بذلت من علماء المسلمين المحليين، الذين تربوا على أيدى مدرسيهم العرب سواء في أرض الملايو أو في الأراضي العربية، ثم قاموا بمهمة التدريس وتربية أبناء البلاد بعلوم الدين. فكان لابد- في كلتا الحالتين- أن يستعملوا الكلمات والمصطلحات العربية والإسلامية لشرح الأفكار والدروس للملايويين، وكانوا يلجئون في كثير من الأحيان إلى استعمالها في معاملاتهم اليومية أيضا. وذلك لأن في اللغة الملايوية نقصاً شديداً من ناحية القدرة على التعبير والتصوير، إلا أن ما جاء به الإسلام من ثقافة وحضارة رفيعة، أحدث حركة في حياة الملايويين قادتهم نحو ثورة اجتماعية وثقافية، فارتفع بالإسلام مستواهم الفكرى وسلوكهم في المعاملات. وبمرور الأيام والأزمنة تلاحمت اللغة الملايوية باللغة العربية وتباعدت شيئاً فشيئاً عن اللغة السنسكريتية – وهي لغة الهند القديمة – حتي أصبحت العربية هي المسيطرة على الكتابة، كما أصبحت المفردات العربية هي البديلة والمتممة لمعظم الفراغات اللغوية.

ب – حركة الترجمة والتأليف في دنيا الملايو

والأمر المهم الآخر في دراسة أثر الإسلام في هذا المضمار هو حركة التأليف والترجمة. فالدعاة المسلمون وعلماء الإسلام قاموا بإصدار كتب في الدرسات الإسلامية لأبناء الملايو باستعمال اللغة الملايوية وبالحروف العربية، وبدءوا في تنظيم القواعد الخاصة للحروف العربية – المعروف عند الماليزيين بالخط "الجاَوِي" – كي تقوم بأداء النطق الملايوى السليم. وكان كثير منهم يؤلفون كتباً

دينية باللغة الملايوية نقلا من الكتب الإسلامية المكتوبة بالعربية، ليقرأها أبناء الملايو، وذلك تيسيراً لهم في فهم دينهم الإسلامي.

وكان أول خطوة لهذا العمل الشريف ما قام به داعية من الدعاة العرب، وهو الشيخ عبد الجليل الهمداني من صنعاء باليمن، الذي اتخذ مقامه في هذه البلاد، حيث استقر هذا الشيخ وأسرته في ولاية "قَدَحْ"، وكان له ولدان، هما: عبد القادر، وعبد الصمد، فأرسلهما إلى مكة المكرمة ليتفقها في الدين، ومكثا فيها قرابة عشرين سنة، ثم رجع الشيخ عبد القادر إلى قدح، فأسند إليه منصب الإفتاء. وأما أخوه الشيخ عبد الصمد، فبقى مدة في مكة، وقام خلالها بترجمة كتاب "لباب إحياء علوم الدين" للإمام أبي حامد الغزالي إلى اللغة الملايوية وسماه "سير السالكين في طريق السادة الصوفية "وقد أتم ترجمة الجزء الأول من هذا الكتاب في مكة سنة ١١٩٤هـ/١٧٨٠ م، وأتم ترجمة الجزء الثاني منه في ١٩ رمضان سنة ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م وطبعهما في مصر بمطبعة عيسى البابي الحلبي. وكان الشيخ عبد الصمد يعتبر من أوائل من قام بترجمة الكتب العربية الإسلامية إلى اللغة الملايوية (محمد على يوسف : ٥١).

وإلى جانب ذلك فقد طبعت في مكة المكرمة مجموعة كبيرة من الكتب الدينية باللغة الملايوية وأرسلت إلى كل جهات البلاد الملايوية. ولذلك فقد ظهرت كتب كثيرة ألفت وترجمت إلى اللغة المحلية في التفسير والحديث والتوحيد والفقه والتصوف والآداب وغيرها، وهناك كتب ورسائل ألفت وترجمت من صفوة العلماء الملايويين، والدعاة المسلمين الهنود الذين استوطنوا البلاد.

ولم يكن هناك مفر من تأثير العربية في الملايوية عند تأليف الكتب والرسائل وترجمتها، ولم يكن مناص لهؤلاء العلماء من نقل المصطلحات العربية إلى داخل اللغة الملايوية ليتضح المعنى المقصود بدقة، كما قاموا بتدريس مضامينها ليفهمها

الناس بطريقة صحيحة. ومن ثم تعوّد الناس على سماع الكلمات العربية واستعمالها في حياتهم اليومية آخذين ما تعود عليه علماؤهم من استخدام المفردات العربية ومصطلحاتها في المعاملات اليومية بكثرة مفرطة.

ويضاف إلى ذلك أنه قد بدأ في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي صدور عدد من الجرائد والمجلات باللغة الملايوية، وكانت كلها مكتوبة بالحروف العربية. وهذا يدل على مدى تقدم استعمال الحروف العربية في كتابة اللغة الملايوية آنذاك. وقد ساعدت هذه الأبجدية العربية على نمو الأدب الملايوي الحديث.

إن الأدب الملايوي قبل وصول الإسلام كان أدب الخيال والأساطير وتمجيد المعالم الطبيعية من جبال وأنهار وأشجار وحيوانات وما إلى ذلك. ومثل تلك الأشكال من الأدب قد وضعت عقول أفراد المجتمع الملايوي وحياتهم رهن سيطرة الكهنة ومشاعر الخوف من أشياء اخترعوها ومجدوها.

فبوصول الإسلام إلى الأرخبيل، تغيرت نظرة الإنسان إلى الحياة، حيث كانت العقلية والمنطقية ركيزتين أساسيتين مهدتا سبيله في الوصول إلى الحق والنور (52 : Shahnon Ahmad). فتابع ذلك التغير الأدب الملايوي، حيث انتقل من العهد الخيالي والأسطوري إلى العهد الواقعي والمنطقي.

ج – الأدب الملايوي في ثوبه الإسلامي

وأول أدب ظهر عند الملايويين كان أدباً لسانياً واستمر قروناً عديدة. أما الأدب المكتوب فقد بدأ ينتشر في المجتمع الملايوي بعد دخول الإسلام إلى المنطقة، حيث كان دعاة الإسلام المهتمون بالثقافة الإسلامية يقدمون الحروف العربية لكتابة اللغة الملايوية، وبذلك انطلق نشاط الكتابة والتأليف في هذه اللغة باستعمال الخط العربي (Ismail Hamid :١).

فالأدب الإسلامي قد تغلب على الأدب الهندوكي الذي عاش فترة طويلة في هذه المنطقة الخاضعة للممالك الهندوكية والبوذية، ثم قضى عليه في نهاية المطاف حينما عمت رقعة الحكم الإسلامي والتعليم الديني الحنيف في بلاد الملايو.

وإن الدور الذى قام به السلاطين المسلمون في تشجيع الحركة الأدبية لدى الشعب الملايوي لمن أكبر العوامل في نمو الأدب الملايوي وازهاره كأدب مكتوب ومنشور على نطاق واسع. ذلك أن هولاء السلاطين كانوا دائماً يتقربون إلى العلماء والمثقفين ويستضيفونهم في القصور والمناسبات حتى يقال إن الأدب الملايوي نشأ في القصور.

والعلماء الذين عرفوا بتخصصاتهم في المسائل الدينية – وهم أيضاً كانوا كتابا وأدباء – فقد اتخذ هؤلاء الأدب أداة مؤثرة في نشر الدعوة الإسلامية، حيث كان المجتمع الملايوي يحب الحكايات والقصص، فقاموا بإدخال الحكايات والقصص الإسلامية، التي تتحدث عن سير الأنبياء والأبطال المسلمين، وصور من انتصارات الحق على الباطل، وذلك لإبعاد الناس عن الحكايات والقصص الهندية الخرافية القديمة التي قد أثرت في نفوسهم واعتقاداتهم، حتى انتقل الناس من الحياة المتسمة بالسذاجة إلى العيش في عالم الواقع، والجهاد من أجل حياة كريمة، ولتنمية

قدرات تفكيرهم، وجذبهم إلى الاستنباط من القصص الإسلامية ما يفيدهم في بناء حركة حياة جديدة مسايرة للتعاليم الإسلامية.

وتبعا لروايات بعض الدارسين لأدب الملايوية، كانت المؤلفات الإسلامية الأولى قد ظهرت في شكل رسائل، تتحدث عن الشهادتين، وأركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، وأركان الصلاة الثلاثة عشرة، وكذلك التي تبين صفات الله العشرين، وما يجب أن يعرفه المسلمون (Arifin Nor ٩٨).

أما كتب القصص والحكايات فهي التي نالت اهتماماً كبيراً في أوائل العصر الإسلامي من جموع الناس، لذلك كثرت تلك الحكايات التي تروى عن قصص الأنبياء وأبطال الإسلام والقصص التعليمية والصوفية وحكايات التسلية والفكاهة في الظهور. وهذه الحكايات منها ما يترجم من المصادر العربية ومنها أعاد صياغته الأدباء الملايويون.

وإلى جانب ذلك فإن الحكايات الهندية لم تدون باللغة الملايوية إلا بعد تأثر اللغة الملايوية باللغة العربية في العصر الإسلامي، إذ نجد فيها الكثير من الكلمات العربية وهي مختلطة بالكلمات الهندية، ولم يتوقف الأمر على هذا الحد، بل أدخل النسّاخ المسلمون العناصر الإسلامية – مثل لفظ الجلالة، واسم آدم عليه السلام وغير ذلك – في قلب تلك الحكايات، لتناسب الفكر الإسلامي (Abd : 1/48 Samad Ahmad)، وتم أيضاً تغيير بعض موضوعات تلك الحكايات إلى الأسماء العربية، لتناسب الذوق الإسلامي. فمثلا اسم (حِكَايَةْ مارَا كَرْماَ Hikayat Mara Karma) غُيِّر إلى (حكاية المِسْكِين Hikayat Si Miskin) و(حِكَايَةْ اِينْدَرَا جاَياَ Hikayat Indra Jaya) غير إلى (حكاية شَاهِى مَرْدَان Hikayat Syahi Mardan) و(حكاية سَرَنجا بَايَا Hikayat Serangga Baya) غير إلى (حكاية أَحمَد مُحمد Hikayat Ahmad Muhammad) (Ismail Hamid : 18).

وقد أثمرت جهود الأدباء في هذا المضمار فوائد جليلة، منها:

أولا: تغيير أنظار الملايويين الذين كانوا معجبين بشهرة أبطال الحكايات الهندوكية قبل الإسلام، إلى تعظيم شأن شخصيات الأبطال المسلمين المرموقة في تلك القصص.

ثانيا: إن قصص الأبطال المسلمين قد غرست روح الجهاد والتضحية، فاحتلت مواقفهم البطولية مكانا في قلوب الملايويين لصد الهجمات الاستعمارية المتتالية.

ثالثا: توجيه المسلمين إلى فضائل الأعمال الصالحة، والقيم الرشيدة.

رابعا: تحقيق الآمال في تطهير المجتمع الملايوي من الرواسب والخرافات القديمة ليس فقط في مجال العقيدة، بل في مجال الثقافة والنشاطات الفكرية.

خامسا: تسلية عقول الناس بالقراءة والاستماع إلى حكايات جديدة مستوردة من بلاد العرب، بجانب ما كان متوفرا لديهم، ومتوارثا معادا من جيل إلي جيل منذ قديم الزمان.

أما عن تاريخ تأليف الحكايات الملايوية القديمة، فلا يمكن تحديده بسبب عدم إفصاح المؤلفين عن أسمائهم وتواريخ إنتاجهم، حتى لا نعرف متي تم تأليفها، ومن هؤلاء الذين ألفوها، ومن هؤلاء الذين جاءوا بعدهم. أما الكتب المتعلقة بالدين الإسلامي فغالبا ذكر اسم المؤلف وتاريخ وضعه (Abd Samad Ahmad : 1/ 73).

ويعتقد أن معظم هذه الحكايات الملايوية قد دونت في عهد السلطنة الإسلامية في مملكة "مَلَكاَ" في القرن الخامس عشر الميلادى (Abd Samad

Ahmad : 1/49) حيث كانت "مَلَكاَ" حينئذ مزدهرة بالأدب وفنونه بجميع أنواعها وأشكالها.

ثم في أوائل القرن التاسع الميلادي، بدأ عهد الاستعمار الإنجليزي في أرض الملايو،ولم تتمكن اللغة العربية من الاحتفاظ بمكانتها الأولى، كمالم تستطع مقاومة الضغوط السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي فرضها الاستعمار البغيض على هذا المجتمع المسلم، فأخذ الاستعمار الإنجليزي في نشر لغته وثقافته مقرونة بعملية التغريب المدعمة بإمكانيات هائلة من القوة والسلطة والمال. وأخذت اللغة الإنجليزية تحتل مكانة مرموقة هيأها المستعمر الإنجليزي في كل بلد يحتله في الدواوين الحكومية والمدارس الرسمية ووسائل الإعلام، بل أصبحت الإنجليزية لغة الحديث اليومي المتداولة بين أوساط المثقفين وأسرهم.

وبالتالي بدأ ينحسر ظل اللغة العربية تدريجيا، حتي باتت محصورة بين جدران المدارس العربية الأهلية التي كانت تعيش على الدعم المادي والمعنوي الذي كان يقدمه الأثرياء الموسرون من أهالى هذه البلاد، وبفضل الجهود المخلصة من بعض أبناء العربية الذين اتخذوا بلاد الملايو موطناً لهم. وكانت تُنظم مناسبات لجمع التبرعات لهذه المدارس، لتغطية ما تحتاج إليه من نفقات.

وبعد الاستقلال شرعت حكومة ماليزيا في اتخاذ اللغة القومية الملايوية (بَهَاسَا مَلِيْسِياَ) اللغة الرسمية في البلاد، ليصبح جميع مواطني هذه البلاد من الأجناس المختلفة يتحدثون بها ويتخذونها لغة قومية لهم تجمعهم وتوحّد صفوفهم وتعبر عن ثقافة المجتمع الماليزي الواحد. وقد صاحب هذه الخطوة قرار الحكومة بإحلال الحروف الرومية (اللاتينية) محل الحروف العربية – التى عاشت في ماليزيا قرونا عديدة – في المدارس والجامعات والمؤسسات في الدولة. وكان لهذا القرار رنة أسى في أوساط المثقفين ثقافة عربية، بل في نفوس المسلمين على وجه العموم، لما كان

لهذا القرار من نذير سوء لمستقبل اللغة العربية في هذا البلد وبداية إبعاد المسلمين من أهم الوسائل التى تساعد على سهولة قراءة القرآن الكريم وتلاوته (محمد زين الحاج عثمان : مجلة العربى، نوفمبر ١٩٨٠).

وقد نتج عن هذا القرار أنه قد أصبح البون شاسعا بين الجيل السابق الذى فهم القراءة بالحروف العربية واللاتينية معا، والجيل اللاحق الذى لا يعرف سوى القراءة بالحروف اللاتينية وحدها، ومن ثم نري أن أبناء الجيل المعاصر لا يبالون بالحروف العربية، ولا يستطيعون قراءة الكتب الدينية المتوفرة لديهم، وهي مكتوبة بالحروف العربية. وأيضا أصبحت قراءة القرآن الكريم عملا شاقا على الجيل المعاصر من أبناء المسلمين بعد أن تعودت ألسنتهم على استعمال الحروف اللاتينية والقراءة بها، مع أن الجنس الملايوي حباه الله عز وجل لسانا فصيحا في نطقه باللغة العربية وقراءته لها. وأكبر دلالة على ذلك ما نسمعه من تلاوة قرائه رجالا ونساءً في مسابقات القرآن الكريم كل عام، وفي المناسبات الدينية نجد أن مخارج الألفاظ عندهم أوضح وأسلم من غيرهم من الجنسيات الأخري، وأن العرب أنفسهم يعجبون بالفصاحة واللسن في تلاوتهم للقرآن الكريم.

وعلي الرغم من قلة الاهتمام باستعمال الحروف العربية في ماليزيا على المستوى الرسمي، لايزال الشعب الماليزى المسلم يتمسك بضرورة استخدام الحروف العربية في حياته، لأنه يدرك أنها هي السبيل لتقريبه إلى دينه، وهي عنوان مجده ورمز تضامن الشعوب الإسلامية[١]. ولا يزال حتى اليوم توجد جهود مخلصة لإبقاء استعمال الحروف العربية ونشرها بين جموع المواطنين في ماليزيا.

[1] ومثل ماحدث في ماليزيا قد حدث في عدد من البلدان الإسلامية نتيجة لجهود المستعمرين لإنهاء وجود اللغة العربية بين هذه الشعوب. وأول من أقدم على هذا العمل – ألا وهو تغيير الحروف الهجائية من العربية إلى اللاتينية – مصطفى كمال أتاتورك في تركيا عام

وبعد مرور أكثر من عشرين سنة من إهمال الحكومة الماليزية المنصرمة تعليم الكتابة بالحروف الجاوية في المدارس، شرعت الحكومة الحالية في توسيع تعليم هذه الكتابة ابتداء من عام ٢٠٠٤م تحت مشروع تدريس التربية الإسلامية المتكاملة المسمى بـ j-QAF وتشمل مواد القرآن الكريم واللغة العربية ودروس فرض عين، والكتابة بالحروف الجاوية.

د – الكتابة بالحروف العربية في اللغة الملايوية[٢]

إن الخط العربي لم يكن معروفا قبل الإسلام إلا عند أفراد قلائل في الحجاز، وكان غير مضبوط عندهم حتى جاء الإسلام فأحياه ونشره بين المسلمين بعد أن ترقى ونمى وتفرعت منه الفروع وضبط بالنقط والشكل الكامل، وحينئذ أخذ ينتشر خارج جزيرة العرب بانتشار الإسلام، واتساع نفوذ حضارته ورسوخ أصوله.

فالإسلام هو السبب الوحيد في انتشار الخط العربي إن لم يكن هو محييه ورافعه إلى أوج الظهور حتى انتشر هذا الانتشار العظيم بين الأمم الإسلامية وغيرها في آسيا وأفريقيا وأوربا. فهو يضم بين دفتيه أمما لا تحصى، مختلفة الأجناس والعادات متعددة اللغات واللهجات، كالعرب والترك والفرس والهنود والملايو

١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، وفعلت كذلك هولندا في إندونيسيا عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، وروسيا في آسيا الوسطى قامت بنفس العمل عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، وكذلك الصومال عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م (انظر محمود شاكر : ٣٤).

2 المراد بالأصوات هنا هي الأصوات المنطوقة ورموزها المكتوبة وقد اعتمدت في دراسة الأصوات هنا على المستوى الرسمي في الدولة.

والأفغان والتتر والأكراد والمغول والبربر وأهل السودان والزنج والساحليين وغيرهم (عبد الفتاح عباده : ١٣٨).

وفي مثل هذا الموقف المركزي للحضارة الإسلامية احتلت الكتابة العربية الصدارة وبدأت تظهر شخصيتها كأداة ثقافية، وكدعامة أساسية للإشعاع الروحي الذي أتى به الإسلام (مجلة الدوحة، فبراير ١٩٨٢ : ص ٥٢).

وإن الأمم التى تعتمد على الحروف العربية في كتابتها أكثر عدداً من كل مجموعة عالمية تعتمد في الكتابة على الحروف الأبجدية، ما عدا مجموعة واحدة وهي مجموعة الأمم التي تعتمد في كتابتها على الحروف اللاتينية. ولكن الأمر في صلاح الحروف للكتابة لا يعود إلى كثرة الأفراد الذين يكتبون بها، بل إلى أنواع اللغات التي تؤدى ألفاظها وأصواتها، وعلى هذا الاعتبار تكون الحروف العربية أصلح من الحروف اللاتينية أضعافا مضاعفة لكتابة الألفاظ والأصوات، لأنها تؤدي من أنواع الكتابة مالم يعهد من قبل في لغة من لغات الحضارة (العقاد : ٣٧).

وقد استطاعت هذه الأمم جميعاً أن تؤدي كتابتها بالحروف العربية دون أن تدخل عليها تعديلا في تركيبها ولا أشكالها المنفردة، ولم تتصرف فيها بغير زيادة العلامات والنقط على بعض الحروف، وهى زيادة موافقة لبنية الحروف العربية وليست بالغريبة عنها، لأن العرب أنفسهم أضافوا النقط والشكل عند الحاجة إليها. وليست زيادة شرطة على الكاف بأغرب من زيادة النقط على الحروف، مفردة أو مثناة، وفوق الحرف أو تحته، للتمييز بين الأشكال المتشابهة أو المتقاربة (العقاد :٣٩).

وقد أخذ الملايويون عن العرب حروفهم الهجائية وزادوا عليها الحروف الخاصة بأصوات لغتهم وعددها خمسة أحرف وهي بمثابة تكملة لحروف الهجاء العربي عندهم.

وخلال عدة قرون من احتكاك اللغة الملايوية باللغة العربية أَثْرَت الملايوية نفسها ليس فقط بأخذ الألفاظ العربية، بل بأخذ الأصوات الجديدة من العربية التى جاءت مع الألفاظ المستعارة. وهذه الأصوات الجديدة المضافة إلى أصوات اللغة الملايوية الأصلية كلها أصوات صامتة، وعددها أربعة عشر حرفا وهي : الثاء والحاء والخاء والذال والزاي والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف، وهذه الأصوات الصامتة تحتوي عليها الألفاظ المستعارة من اللغة العربية غالبا (Zainal Abidin Ahmad: 1/7-8). وهذه الإضافة تعتبر أكبر زيادة من ناحية الأصوات التي حصلت عليها اللغة الملايوية من اللغات الأخرى . أما من اللغة الإنجليزية فقد دخلت منها إلى اللغة الملايوية صوتان وهما صوت (V) مثل November و novel و universiti صوت (X) مثل xenon و X-ray.

هـ : ما اعترى الأصوات العربية من تغير

إن كلمات أى لغة متى دخلت لغة أخرى لا تخلو غالباً من التعرض للتحوير والتغيير في أصواتها وطريقة نطقها حيث تخضع الكلمات الدخيلة للأساليب الصوتية في اللغة التى اقتبستها، ومن ثم نرى أن الكلمة الواحدة قد

تنتقل من لغة إلى عدة لغات، فتتشكل في كل لغة منها بالشكل الذى يتفق مع أساليبها الصوتية ومناهج نطقها، حتى لتبدو في كل لغة منها غريبة عن نظائرها في اللغات الأخرى.

فاللغات التى تأخذ بعض الألفاظ تحاول إخضاعها لقوانينها الصوتية وموازينها البنائية حتى تشاكلها، وتجري على لسان أربابها. فبعض الأصوات لا يوجد في لغة ما ويوجد في غيرها كصوت (p)، في اللغات الهندية الأوربية، ففي الفارسية مثلا (بندق) عُرّب إلى (فندق) بالفاء (هلال : ١٩٩).

فكذلك الحال عندما أخذ الملايويون الألفاظ العربية واستعملوها في صميم لغتهم الملايوية، فهم قد صاغوا تلك الألفاظ على أوزان لغتهم إلا ما ندر، فتحرفت الكلمات الدخلية قليلا في النطق عن أصلها لتساير لسان أهل بلاد الملايو، ولتتمشى مع تصرف الكلمات عندهم. ولا شك أن السبب في عدم توافق النطق الملايوي والنطق العربي، هو اختلاف العادات الصوتية والظروف بين الأمتين العربية والملايوية، فقد قام الملايويون بصبغ معظم الألفاظ بصبغة اللسان الملايوي، فبدلوا الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً، وغيروا البناء من العربي إلى أبنية الملايوية، سواء بإبدال حرف بحرف أو زيادة حرف أو نقصان حرف أو تحريك ساكن أو إسكان متحرك أو إبدال حركة بحركة وما إلى ذلك.

فالماليزيون قد غيروا تلك الأصوات الأربعة عشرة لتماثل نظام نطقهم حيث مالوا إلى تخفيف نطقها – حتى لا يثقل عليهم في استعمال الكلمات العربية الواردة – إلا حروف الخاء والزاي والشين والغين والفاء، فأبقوها على نطقها الأصلي. ولعل ذلك يدل على أن نطق هذه الحروف الخمسة لم يكن صعبا لديهم. أما في قراءة القرآن الكريم والنصوص العربية فهم يلتزمون بالنطق العربي

الفصيح، وكذلك فهم يحتفظون بنطق المصطلحات الدينية المهمة تبعا لنظام النطق العربي.

المراجع العربية

عبد الفتاح عباده . ١٩١٥. *انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي*. القاهرة: المطبعة الهندية بالموسكي.

العقاد، عباس محمد. بدون تاريخ. *أشتات مجتمات في اللغة والأدب*. القاهرة: دار المعارف.

محمد عبد الرءوف. ١٩٦٦. *الملايو وصف وانطباعات*. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.

محمد على يوسف. ١٩٨٥. *الإسلام وأثرة الحضاري في الحياة الاجتماعية في ماليزيا* (رسالة ماجستير). القاهرة: كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر.

محمود شاكر. ١٩٧٧. *فطاني*. الدار السعودية للنشر والتوزيع.

هلال، عبد الغفار حامد. ١٩٧٩. *علم اللغة بين القديم والحديث*. القاهرة: دار الطباعة المحمدية بالأزهر.

مجلة الدوحة. فبراير ١٩٨٢. العدد ٧٤. وزارة الإعلان بدولة قطر.

مجلة العربي. نوفمبر ١٩٨٠. العدد ٣١٣. وزارة الإعلام الكويتية.

المراجع غير العربية

A. Samad bin Ahmad. 1966. *Sejarah Kesusasteraan Melayu*. Kuala

Lumpur: DBP.
Al-Attas, Syed Muhammad Naguib. 1972. *Islam Dalam Sejarah Dan Kebudayaan Melayu*. Bangi: UKM
Arifin Nor. 1971. *Kesusasteraan Lama Melayu*. Kota Bharu: Pustaka Aman Press Kelantan.
Ismail Hamid. 1981. *Kesusasteraan Melayu Lama dari Warisan Peradaban Islam*. Kuala Lumpur: Fajar Bakti.
Raminah Hj. Sabran dan Rahim Syam. 1985. *Kajian Bahasa*. Kuala Lumpur: Fajar Bakti.
M. Yunus Maris. 1980. *The Malay Sound System*. Kuala Lumpur: Fajar Bakti.
Shahnon Ahmad. 1981. *Kesusasteraan dan Etika Islam*. Kuala Lumpur: Fajar Bakti.
Zainal Abidin bin Ahamd. 1948. *Pelita Bahasa Melayu*. Kuala Lumpur: DBP